الأثر البلاغي لحذف المبتدأ في شعر المتنبي

م.م لؤي مجيد إبراهيم **م. م حامد عدنان سلمان**

معهد إعداد المعلمين – البصرة

التمهيد

الحذف:

الحذف ظاهرة لغوية عامة، تشترك فيها اللغات الإنسانية إذ يميل الناطقون بها إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما يمكن فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة، وقد يعتري الحذف بعض عناصر الكلمة الواحدة فيسقط منه مقطع أو أكثر. (١)

وقد تناولت كتب اللغة والنحو الحذف بالتعريف في اللغة والإصلاح وهو تناول مبنى على وفق رؤية اللغوي والنحوي للحذف، وقوله به والتزامه.

فالحذف في اللغة هو: الإسقاط وطرح الشيء بحذفه حذفاً قطعه من طرفه وخفف منه، ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه (٢) وجاء في العين الحذف، قطف الشيء من الطرف ... والرمي (٣).

أما الحذف في الإصلاح فهو: إسقاط بعض الكلام أو كله لقرينة لفظية أو معنوية تدل عليه، ويتفق في هذا التعريف علماء النحو وعلماء المعاني من البلاغيين.

أما تعريفه عند علماء البديع فهو حذف المتكلم من كلامه حرفاً من حروف الهجاء أو جميع حروفه المهملة بشرط عدم التكلف وعليه صار لديهم لوناً من ألوان البديع.(٤)

ومن التعريفيين يتضح لنا إن للحذف ضابطه اللغوي الرئيس وهو (الإسقاط) وأن إسقاط شيئاً لم يكن أو إلا أسقط شيئاً لعدم وجوده أصلاً وأقول إنه مسقط أو محذوف.

وعليه لابد من الإشارة إلى الفرق بين الحذف والإضمار والإيجاز ((والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف ثم مقدر نحو: (واسأل القرية)* بخلاف الإيجاز فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه، والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو: (انتهوا خيرا لكم) أي : أنتوا أمرا خبراً لكم، وهذا لا يشترط في الحذف) (٥)

وهناك ثمة فرق بين ما عرف بالحذف أو الإسقاط وبين عدم الذكر أو صحة الدكتور فاضل السامرائي بقوله: ((أو جعلنا عدم الذكر حذفاً لكانت جمل العربية فيها حذف بلا استثناء، لأن كل جملة يمكن أن يذكر فيها لا تذكر في أخرى ، ومعنى ذلك أن يكون الأصل الحذف وليس الذكر) (٦) .

ويجب في المحذوف أن يدل عليه فإن لم يكن هناك دلالة عليه يكون الحذف تعمية والغازا ولغواً في الحديث لا يمكن الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفاً بحال (٧).

وعليه فالقرينة شرط في صحة الحذف لأنه مقترن بها أي غرض من أغراض أسلوب الحذف في المسند إليه والمسند والفضلة.

((وأعلم أن العرب يحذفون الشيء وفي كلامهم ما هو أثقل منه ويستثقلون الشيء وفي كلامهم ما هو أثقل منه مما يتكلمون به، فعلوا هذا

لئلا يكثر في كلامهم ما يستثقلون فحذفوا بعضاً وأقروا بعضاً على ضرب من التعامل، ولم يجيئوا به على التمام لئلا يكثر ما يستثقلون)) [٨].

ويرتبط مفهوم الحذف بالحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء. فأن ما حقه الذكر يستقبح أن يحذف وإن انتظام أجزاء الكلام وجودة سبكه مما تقوم له صورة جمالية في النفس لا غنى عنها، والعدول عن هذه الصورة إفسادا لها.[٩]

والحذف من أدوات الإيجاز الذي تتسم به العربية، وقد كانوا يعمدون إلى حذف الحرف والكلمة والجملة والجمل إذا وجدوا أن المعنى تم بدونها ويقتصرون على الإشارة المعبرة الموجبة إلى المعنى دون السرد الممل وجعلوا من الإيجاز عماد بلاغتهم وركن فصاحتهم ((فأعلم أم من عادة العرب الإيجاز والاختصار والحذف طلباً لتقصير الكلام وطرح فضوله والاستغناء بقليله عن كثيره ويعدون ذلك فصاحة وبلاغة)) [١٠].

((وذلك إنما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة، بل أقول لو ظهر المحذوف لتنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى شيء مشترك مسترذل، ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة)) [١١].

وترتبط ظاهرة الحذف في اللغة بالمستويات اللغوية الأخرى كالمستوى التركيبي والمستوى الدلالي و ((لا يمكن إقامة هذين المستويين في الجملة دون تقدير ما هو محذوف ورده إلى مكانه على ضوء ما تم وصفه في قواعد وقوانيين)) [١٢].

حذف المبتدأ:

أن البلاغيين يجعلون ذكر المسند والمسند إليه هو الأصل، ولا يترك الأصل إلى غيره دون وجود ما يقضي ذلك، وهم حددوا المقتضيات التي يحذف من أجلها المسند إليه والمسند، ثم أن الحذف في بعض المواضع يكون أفضل من الذكر، ويظهر ذلك خلال المقارنة وأول ما نجد من مبررات الحذف أنه لمجرد الاختصار وكأنهم بذلك يجعلون حذف الزوائد من الجملة من الأمور التي لها دخل في قوة العبارة وشدة تماسكها وما دام في الكلام من القرائن، أو المعنى يدل على المحذوف فذكره يعد نوعاً من التزايد لا فائدة فيه.

والمبتدأ هو أحد أجزاء الجملة وقد اعتاد العرب حذف المبتدأ في حالات ومواقف. ويشترط لحذفه – كما ذكرنا– وجود قرينة تدل عليه ووجود سر بلاغي يدعو إلى الحذف ويرجحه على الذكر، ويبرز عبد القاهر الجرجاني فوائد الحذف وبيان قيمته البلاغية بقوله: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فأنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عنى على الإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين... وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر، وأنا أكتب لك بديئاً أمثلة مما عرض فيه الحذف، ثم أنبهك على صحة ما شرت إليه، وأقيم الحجة من ذلك عليه))[١٣]

ويستنتج الدكتور عبد الفتاح بسيوني من كلام عبد القاهر الجرجاني ثلاث مزايا كامنة وراء كل حذف يقع في اللغة وهي:

الإيجاز، وإثارة تحريك خيال المخاطب وأحاسيسه ليدرك من العبارة ما طوي ذكره وسكت عنه، والأحتزاز عن العبث بناء على الظاهر: لأن ذكر

الكلمة التي أقيم عليها الدليل وأشار إليها السياق وأرشدت إليها قرائن الأحوال يعد عبثاً بمقتضى البلاغة. (١٤)

ويذكر عبد القاهر أن حذف المبتدأ يكثر عدد ذكر الديار، ويطرد كذلك عند المدح والفخر وعند الهجاء أو الرثاء (١٥)، ويعرض كثيراً من الشواهد الشعرية لهذا ينحو قول الشاعر:

اعتادُ قليل من ليلى عوائذه وحاجُ أهواءك المكنونة الطلل

ربع قراء أذاع المعصرات به وكل حيران سار ماؤه خضل

أراد الشاعر: ذلك ربع قراء الحذف المبتدأ.

حذف المبتدأ عند المتنبي

كان حذف المبتدأ أحد المظاهر اللغوية التي اعتمدها الشاعر كوسيلة للتعبير الشعري وهو يرد كثيراً في شعره ويتركز أغلبه في مقام القطع والاستئناف في أول البيت، وذلك لبث الحركة والحيوية في التركيب والابتعاد عن رتابة التقريرية، أو لكي يعمل على جذب انتباه السامع إلى المسند لميزة فيه أو ليرتفع بالمسند المحذوف إلى الغاية التي يريدها.

أن حذف الشاعر للمبتدأ في مقام المدح عندما يقطع المعنى مستأنفاً معنى آخر فيبدو أن السر الذي وراءه هو رغبة الشاعر في تمييز المعاني وظهورها صنوفاً متباينة وألواناً مختلفة وأجناساً متعابرة وحذف المبتدأ في تلك الجمل المستأنفة يحقق هذه الرغبة. (١٦)

ومما ورد في ذلك في شعر المتنبي قوله:

أخت أبي خير أمير دعا فقال جيش للقنا ليه (١٧)

أراد : هي أخت، فحذف المبتدأ فيه فجاء للبيت بصورة أبلغ، فهو أكثر قوة دلالية من قولنا: هي أخت، التي تميل إلى التشبيه البليغ، أما عند الحذف فإنها تمثل مرحلة لبعد من التشبيه البليغ.

ومن جميل ما قاله في هجاء الملوك والأمراء العرب:

أرنب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام (١٨)

(فالمعهود في مثل هذا أن يقال: هم ملوك، إلا أنهم في طبع الأرنب لكنه عكس الكلام مبالغه، فجعل الأرنب حقيقة لهم والملوك مستعارا فيهم، قال ابن جني: وهذا عادة له – للمتنبي– يختص بها) (١٩)

يشير الشاعر إلى تحقير هؤلاء الملوك والأمراء، وقد عاب عليه القدماء هذا التحقير، وقبيح منه أن يقول هذا الكلام فقد عدها بعض المحدثين جزءا من فلسفة المتنبي إذ إن ((من المواقف الشعرية ما تنفصم فيها عزى الخطاب بين الباث والمتلقى وعندها يغرق الباث في عزلة فكرية واجتماعية ذات أبعاد فلسفية))(٢٠)

ويبدو أن الشاعر قد قال هذه الأبيات تحت شعور مؤلم في موقف صعب ضاقت بعينيه دنياه بعد أن رأى بلاد العربية وقد أصبحت عرضة للغزاة والطامعين وبعد أن تمزقت أشلاؤها إلى إمارات ودويلات صغيرة.

ومن حذفه للمبتدأ قوله:

كفي أراني ويك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجسما (٢١)

يذهب البرقوقي في شرحه للبيت إلى أن (هم) مرفوع لأنه فاعل أراني والياء في أراني مفعول أول ولومك مفعول ثان.

أما التبريزي فيذهب إلى أن (هم) مرفوع بابتداء مضمر أي: هذا هم ويؤيده ابن فورجة في ذلك بقوله: ((فابتدأ يشكو حاله بقوله: حالي هم أقام على فؤاد أنجم: فهو رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو رفع بالابتداء خبره محذوف (٢٢)

إن الذي أراده الشاعر من حذف المبتدأ في هذا المقام أن ينبئ بمدى انفعاله وامتلاء نفسه بالهم والحزن فيقبض فيها صنوفاً وألواناً متمايزة.

ومثله في القصيدة عينها:

غصن على تقوى فلاة نابت شمس النهار تقل ليلاً مظلماً[٢٣]

يريد حبيبي أو حبيبتي غصن هذه حاله ولذلك ارتفاع (شمس) على هذين التأولين. ويبدو أن الغرض الذي حذف المبتدأ من أجله في البيت السابق هو ضيق المساحة الموسيقية عن إدخال كلمة جديدة من جهة ومن جهة أخرى فأن المعنى واضح وهو يدل على المحذوف (٢٤) أو أن الشاعر أراد أن ينأى عن الصياغة الواضحة التي تؤدي بالذهاب ببهاء لغة الشعر ورونقها.

وقد يتأزر الحذف والتنكير في جعل الجملة قصيرة ولكنها تحمل مدى صوتياً ومن ذلك قوله:

وحيد من الخلان في كل بلدة إذ عظم المطلوب قل المساعد[٢٥]

(في هذا السياق تأزر الحذف والتنكير لجعل كلمة (وحيد) جملة اسمية حذف مبتدؤها مما أوجد عبارة قصيرة كانت إيقاعها لسلسلة من الجمل الطويلة تلتها وقد ساعد تنوين التنكير على منح هذه العبارة – على قصرها– مدى صوتياً بفضل ما فيه من ترجيع وصدى مؤثر)(٢٦).

ومن جميل شعره في الغزل قوله:

هام الفؤاد بإعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تمدد له طنيا

مظلومة القد في تشبيهه غصنا مظلومة الريق في تشبيهه ضربا [٢٧]

روى ابن جنى : (مظلومة) بالرفع في الشطرين وفسر أبن الفتح البيت بقوله: ((قدها أحسن من القضيب وريقها أطيب من الشهد)) [٢٨] وقال ابن المستوفي: ((وقرأت بالرفع في مظلومة القد ومظلومة الريق))[٢٩]، وأعرابها صاحب التبيان خير ابتداء محذوف والتقدير: هي، أو : هذه المذكورة مظلومة مع جواز الجر نعتاً لـ(إعرابية) في البيت الأول [٣٠].

ومن حذفه للمبتدأ ما قاله في مدح كافور:

وما كنت لولا أنت إلا مهاجراً له كل يوم بلدة وصحاب (٣١)

أورد العكبري (حبيبة) بالرفع، وقال إنها مبتدأ وإلى خبر وقال ابن جني: التقدير: هي إلى حبيبة: يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف ويضيف ابن جني في تعليقه على البيت: ((وكان كثيراً ما يقطع ويستأنف)) (٣٢)

ومن الأبيات التي حذف فيها المتنبي للمبتدأ والتي جانباً مهماً من نظرته الفلسفية للحياة قوله:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد (٣٣)

فلو نظرنا إلى قوله: (عيد) لبدأ لنا إنه تصرف بها تصرفاً انفعالياً ذاتياً، إذ استهل بها في مطلع البيت بعد حذف المبتدأ للتدليل على وقعه الخاص بنفسه وارتباطه به ارتباط وحشة وحسرة وندم.

وتقديم هذه اللفظة كان تعبيراً عن اللحظة النفسية أو الباعث الأول المباشر لتجربته، وبذلك خرجت تلك النثرية عن ركودها ودلالتها الشائعة واتخذت معنى الأزمة النفسية وبعدها.

وهناك كثير من الأبيات والتي تعرض بسببها إلى النقد من اللغويين والتي يشذ فيها عن أصول الفصاحة والبلاغة –ينظرهم– ويرتكب فيها التقديم والتأخير والحذف الخ حيث لا تجوز هذه المذكورات فيظهر البيت بها كركام بناء منهدم وقد تراكمت بعض أنقاضه على بعض. كقوله:

فتى ألف جزء رأيه في زمانه أقل جزئ بعضه الرأي أجمع(٣٤)

قال البازجي: ((في هذا البيت من التقديم والتأخير والحذف والإبهام ما لا يباح في أساليب الكلام حتى إذا حللت تركيبه النحوي باقيا على غموضه.. وجل ما يتحصل منه إلى ممنوحة فتى لو اعتبر رأيه يف أحوال زمانه ألف جزء لكان أقل جزء منها يعادل كل ما عند الناس من الرأي))

المعنى أن الممدوح أعلم الناس بأحوال الدهر، فترى أن هذا المعنى تافه لا يستحق هذه الحذلقة وذلك التعسف في التعلم، وكان إذا حلق في فضاء التخيل والتصور يترك وراءه حسن الذوق فيرد في نظمه من السماحة اللفظية ما ينافي لطف الخيال، ومن خساسة الاستعارة والتشبيه ما يقابح سمو التصور. (٣٥)

وبعد هذا العرض لمجموعة من الأبيات التي حذف المتنبي للمبتدأ منها سنقف على ثلاثة أبيات أوقع حذف المبتدأ في البيت الأول شراح شعر المتنبي في جدل شديد نتيجة لاختلاف التقدير، أما البيتين الآخرين فقد أوقع الحذف فيهما غموضا أحوج الشراح أيضا في التوجيه والتقدير.

قال المتنبي في الأول:

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل (٣٦)

يذهب أبو الفتح أبن جني في شرح معنى البيت إلى أنه رفع شديد البعد لأنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير: أنت شديد البعد ورفع ترنج الهند بالأبتداء كأنه قال:

بين يديك، أو في مجلسك ترنج الهند ألا أنه حذف من الأول المبتدأ ومن الثاني الخبر لأنه مشاهد فدلت الحال على ما أضمر ... لأن في الحال دليلاً عليه(٣٧)

ويعلق أبن فورج كلى كلام أبن جني بقوله: (غير أن هذا البيت لا حاجة به إلى هذا التعسف والتمحل العظيمين البعيدين عن كل خاطر، وإنما ترنج الهند مبتدأ وشديد البعد خبره. قدم الخبر على المبتدأ وأن شئت كان شديد البعد مبتدأ وترنج الهند خبر إذ كان كلاهما معروفين أيهما كان مبتدأ جاز والمعنى مفهوم إذا قلت ترنج الهند شديد البعد من شرب الخمر وأن شئت كان ترنج الهند خبر ابتداء محذوف كأنه يقول : هذا الأترج وخبر

المبتدأ شديد البعد وإنما في هذا البيت أمران مما يبعده عن الخواطر غير ما ذهب أليه الشيخ أبو الفتح والخطب في كلاهما سهل فأحدهما أنه حذف من الكلام ما تدل عليه الحال وذاك أنه يريد شديد البعد من شرب الخمر ترنج الهند عندك واذا حضرك وحذف الظروف أذا دل عليها الكلام كثير.

والمتنبي يحسن تخير المواضيع في الوقفات ليزيد النغمة جمالاً، وكذلك الدقة في قدر السكنات والوقفات التي تساعد على انسجام موسيقى البيت، فالمتنبي يتحسس بعبقريته جو المجلس وطريقة أنشاد البيت أثناء نظمه[٣٨]، فيقول في بيت أوقع الحذف فيه غموضاً:

حسن في عيون أعدائه أقـ ـبح من ضيفه رأته السوام[٣٩]

يذهب البرقوقي في شرحه للبيت إلى أن (حسن) مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هو حسن وتم الكلام ثم قال: وهو في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون ماله الراعي لأنه ينحر أبله للأطياف فهي تكرههم [٤٠]

ويؤيده أبن جني فيما ذهب أليه، وأضاف يقول: ((ويمكن أن يكون أعدائه ظرفاً لحسنٌ، فالمعنى هو في عيون أعدائه حسنٌ)) [٤١]

وبيت المتنبي قريب من قول الآخر يصف الظيف:

حبيبٌ ألى كلب الكريم مناخه بغيظ الى الكوماء والكلب أبصرُ [٤٢]

والبيت الثاني ما قاله في مدح أبي العشائر:

فأكبر فعله واصغر أكبر من فعله الذي فعله [٤٣]

قال أبو الفتح: ((أي استكبر فعله، واستصغره، فتم الكلام ههنا، ثم استأنف فقال: أكبر من فعله الإنسان الذي فعله، أي هو أكبر من فعله))[٤٤] . أما العروضي فقد أنكر هذا المعنى بقوله: ((على هذا التفسير لا يكون مدحاً، لأن من المعلوم أن كل فاعل أكبر من فعله، والخالق تعالى ذكره فوق للمخلوقين، وقالوا إن خيراً من الخير فاعله، وإن سراً من الشر

فاعله ولكن معنى البيت: إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله)). وأيده في ذلك الوحيد الأزدي الذي لم يرق له هذا التوجيه والإطراء فيذكر محاسن شعر المتنبي ومساوئه ويرى في هذا وأمثاله ما لم يره ابن جني [٤٥]. فيرى أن هذه الأبيات ((تحوج إلى أن تبين معانيها، وإنما يكون ذلك من نقصان العبارة وتخلف البيان، وأول ما يجب على الشاعر، بل على الناطق أبيانه عن عرضه وإلا عد من الخرس أو اللكنى)) [٤٦].

فالغموض هنا يعمق الدلالة الإيجابية لشعر المتنبي ويمنحه طاقة تعبيرية إضافية نتيجة ((إخراج المعاني الذهنية المجردة إلى صور حسية مرئية)) [٤٧].

إن الإبهام في شعر المتنبي فيه الدلالة الكافية على إية بعيد الغور في التصور والتخيل وابتداع المعاني ولكنه كان في كثير من الأحوال يعجز أن يصوغ تمثالاً كاملاً للمعنى الذي يبتدعه بحكم العروض عليه وزناً وقافية فيضطر إلى إعمال شيء من اللفظ اللازم لاستتمام قالب المعنى وإلى التقديم والتأخير إلى حد الإخلال بقوانين البلاغة وقواعد اللغة أحيانا كأنه يستشفع عبقريته في تسويغ هذا الإخلال)) [٤٨].

حذف الاسم في النواسخ:

ورد حذف الأسم مع النواسخ في عدة مواضع عند المتنبي، فمن حذفه مع (أن) المفتوحة الهمزة المشددة وهو ضمير شأن، وضمير الشأن هو الضمير الذي يكنى به عن جملة بعده أسمية أو فعلية وهو دائماً يلفظ المفرد، لأنه يراد به الأمر والحديث، وذلك نحو: هو زيد قائم [٤٩]، ومنها قوله:

أليس عجبا أن بين بني أب لنجل يهودي تدب العقارب (٥٠)

وقوله:

ولا تدعوك صاحبه فترضى لأن بصحبة يجب الدمام (٥١)

جاء أسم (أن) في هذين البيتين ضمير الشأن محذوفاً ، والتقدير:

أليس عجيباً أنه بين بني أب ولأنه بصحبة يجب الذمام

ونجد إن إدراك المعنى في البيتين السابقين لا يتوقف على المحذوف لأن العناصر للمذكورة كافية فيه لفهم المعنى دون التقدير للمذكور، ولكنه حذف أو اوجبته الصناعة النحوية (٥٢) فالقواعد النحوية لا تجيز أن يكون اسم (أن) جملة فعلية ولا شبه جملة في قول المتنبي:

أليس عجيباً أن بين بني أب لنجل يهودي تدب العقارب

وقوله

ولا تدعوك صاحبه فترضى لأن بصحبة يجب الدمام

ومنه أيضا قوله:

يرى أن ما ما بان منك لضارب بأقتل مما بان منك لعائب (٥٣)

يقول أبن سيدة في شرح المشكل في شرح هذا البيت: ((ففي مضمر على شريطة التفسير و (ما) الأولى نفي، والثانية بمعنى الذي، والجملة بكلتيها تفسير المضمر على شريطة التفسير) (٥٤)

وهو في هذا يوافق سيبويه (٥٥) فهو الذي جوز حذف أسم الحروف المشبهة بالفعل إذا كان ضمير شأن، أما جمهور النحاة فقد جاء رأيهم في ضمير الشأن مع النواسخ عموماً فيه تفصيل، إذ أنهم رأوا جواز استتاره في (كان وأخواتها)، وفي المقابل ضرورة بروزه مع (إن واخواتها)، و (ظن وأخواتها)(٥٦) وذلك لأن أسم (كان) مرفوع والضمير مرفوع يستتر في الفعل، بخلاف الضمير المنصوب الذي لا يكون إلا ظاهراً (٥٧) كما أنه مع (أن

وأخواتها) لا يمكن استتاره فيها، لأنها حروف، والحروف لا تستتر فيها الضمائر [٥٨].

أن حذف ضمير الشأن ((يحسن في الشعر ولا يقبح في الكلام إلا أن يؤدي حذفه أن تكون (أن وأخواتها) داخلة على فعل فأنه إذ ذلك يقبح في الكلام والشعر، لأنها حروف طالبة لأسماء فاستقبحوا لذلك مباشرتها للأفعال)) [٥٩].

ومن حذفه مع (أن) المخففة من الثقيلة قوله:

وذات غدائر لا عيب فيها سوى أن ليس تصلح للعناق [٦٠]

في هذا البيت دخلت (أن) المخففة من الثقيلة على (ليس) على حين أنه مختصة بالدخول على الأسماء، فلا تدخل على الفعل حتى يحجز بينها وبينه حاجز وقد دخلت هنا على ليس وهي فعل بلا حاجز وذلك لضعف (ليس) عن الأفعال وقد ورد هذا الاستعمال كثيرا في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: (وأن ليس الإنسان إلا ما سعى) فدخول (أن) المخففة على جملة اسمية منسوخة بفعل ناقص مثل (ليس) إلا يحتاج إلى فاصل وذلك لضعف (ليس) عن الأفعال، ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال حتى جعلها بعض النحاة حرفاً. [٦١]

وحذف المتنبي اسم كان في قوله:

ولو كان يوم وغى قائماً للباه سيفي والأشقر [٦٢]

يشير الواحدي في شرحه لهذا البيت بشكل غير مباشر إلى أن قصد المتنبي من الحذف هو الاختصار إذ يقول: ((واسم كان مضمر على تقدير ولو كان (ما نحن عليه من الحال دعاءك إياي يوم الوغى) والقائم المظلم بالغبار)) [٦٣]

واستدل على هذا الحذف من تركيب الجملة (نصب يوم) الذي يقتضي وجود اسم لكان وهو يفتقر إليه في صورته الحالية.

ويرى أبن جني أنه ((لو رفع يوم لاختل المعنى لأنه قد يكون أيام كثيرة ذات وغى قاتمة، فلا يجيبه بأن يكون بمعزل عنهما وفي غر بلادهما. وإذا نصب صح المعنى)) (٦٤)

وحذق المتنبي اسم (كان) في قوله:

إذا ورمت من لسعة مرحت لها كأن نوالا صر في جلدها النير (٦٥)

يقول ابن سيدة في شرحه البيت: ((يجوز أن يكون (نوالاً) منصوباً بـ(كأن) والجملة التي هي (صر) في جلها النبر خبر كأن، وفيه ضعف، لأن اسم (كأن) نكرة غير مؤيدة بالصفة ثم قال: وخبر منه عندي أن يكون في (كأن) إضمار الشأن أو الحديث ، أي: كأن الأمر أو الحديث، و (نوالاً) مفعول لـ (صدر) فقوله: نوالاً صر في جلدها تفسير للمضمر في (كأن))) (٦٦)

ومن مجيء الأسم محذوفاً مع (كأن) المخففة قوله:

ذكرت به وصلا كأن لم أقر به وعيشاً كأني كنت أقطعه وثبا(٦٧)

يرى النحاة في مثل هذا الاستعمال أن (كأن) إذا خفف لا يجوز فيها إلاعمال إذن لا يد لها من أسم وخبر عندهم، لذلك استدعت الصنعة النحوية في مثل هذا الاستعمال تقدير اسم محذوف.

وقوله:

وممثلة حتى كأن تم تفارقى وحتى كأن اليأس من وصلك الوعد (٦٨)

فجاء اسم (كأن) في هذا البيت محذوفاً والتقدير كأن الشأن أو الحال أما الخبر قد جاء جملة فعلية منفية بـ (لم) وبهذا يكون المتنبي قد وافق آراء

النحاة الذين اشترطوا لخبر (كأن) المخففة أن يكون جملة اسمية أو فعلية مسبوقة بـ (لم) أو (قد) أو يكون مفرداً.

أما مجيء اسم (لا) المشبهة بـ (ليس) محذوفاً في شعر المتنبي فقد ورد في موضع واحد في قوله:

وعيون المها ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود (٦٩)

والتقدير : ولا تلك العيون كعيون فتكت.

ومن مجيئها مع أسم (لا) النافية للجنس قوله:

قفا قليلاً بها على فلا أقل من نظرة أزودها (٧٠)

والتقدير : فلا شيء أقل من نظرة.

والذي أباح حذف الاسم في مثل هذا الاستعمال هو معرفة المعنى عند المخاطب فهذا الحذف يفهم لدى السامع لوجود دليل عليه يعرف من السياق.

الهوامـــش

١- ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي – طاهر سليمان حمودة:٤.
٢- لسان العرب – ابن منظور مادة (حذف) : ٤١/٩.
٣- العين- الخليل بن أحمد الفراهيدي- باب الحاء والدال والفاء معهما: ٢٠٢/٣.
٤- ينظر: البرهان – الزركشي: ١١٥/٣ ، وخزانة الأدب – الحموي: ٤٣٩، وينظر إعجاز القرآن – الباقلاني: ٢٦٢/١.
٥- البرهان: ١١٥/٣
٦- الجملة العربية: ١٦
٧- ينظر: الطراز- العلوي: ٢٤٦-٢٤٧: البرهان : ١١١/٣، وينظر : أمالي المرتضى: ٤٨/٣.
٨- المنصف – ابن جني: ٢٩٩/٢ -٣٠٠، وينظر : في جمالية الكلمة – د. حسين جمعة: ٨٣.
٩- ينظر البلاغة والأسلوبية- د. محمد عبد المطلب: ٢٣٥
١٠- أمالي المرتضى: ٣٠٩/٢
١١- الطراز: ٣٤٦
١٢- قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين – د. محمود سليمان ياقوت :٣٠٢.
١٣- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني : ١٧٠.
١٤- علم المعاني – دراسة بلاغية ونقدية لسائل المعاني- د. عبد الفتاح بسيوني: ٧٨.
١٥- ينظر : دلائل الإعجاز : ١٧٤
١٦- ينظر: علم المعاني : ٨٠.
١٧- شرح ديوان المتنبي – ألبرقوقي: ٢٣٧/١.
١٨- نفسه: ١٤٣/٤
١٩- نفسه: ١٤٣/٤
٢٠- الرفض ومعانيه في شعر المتنبي- يوسف الحناشي : ٧٨
٢١- النبهان : ١٠٧/٤
٢٢- الفتح على أبي الفتح – ابن فورجة: ٢٩٨ وينظر شرح ديوان المتنبي – التبريزي: ، البرقوقي: ١٠٧/٤.
٢٣- البرقوقي: ١٠٨/٤
٢٤- ينظر : من بلاغة النظم العربي – د. عبد العزيز عبد المعطي:١٣٠.
٢٥- النبهان: ١/ ٢٧٠
٢٦- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغية – د. ابتسام احمد حمدان.
٢٧- التبيان: ١١١/١.
٢٨- الفسر: ٣٠٢/١.
٢٩- النظام – ابن المستوفي: ١١٠/٤.
٣٠- التبيان: ١١١/١
٣١- نفسه: ٢٠٠/١.
٣٢- الفسر: ١/ ٤٩١-٤٩٢.
٣٣- التبيان: ٣٩/٢.
٣٤- نفسه : ٢٤٢/٣.
٣٥- ينظر : الغموض في شعر المتنبي

٣٦- التبيان: ٣/٩٠.
٣٧- ينظر : الفسر : ، وينظر الفتح على أبي الفتح- محمد بن فورجه:٢٢٢.
٣٨- ينظر: البنية الموسيقية في شعر المتنبي – د. عبد الجبار المطلبي:١٦٨.
٣٩- التبيان: ٤/٩٦.
٤٠- البرقوقي: ٤/١٦٢.
٤١- الفسر: ١/٤٠٣.
٤٢- ورد البيت من دون نسبة في شرح ديوان الحماسة لأبي تمتم الحساسية رقم ٧٢١. وينظر شرح المشكلة: ١٢٧.
٤٣- التبيان ٣/٢٧٢.
٤٤- نفسه : ١/٤.
٤٥- ينظر:الظواهر النحوية والصرفية في شعر المتنبي: ٩٧
٤٦- الفسر: ١/٤
٤٧- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية: صبحي البستاني: ١١٤
٤٨- ينظر: الغموض في شعر المتنبي- مقالة- مجلة الهلال- عدد خاص في الذكرى الألفية للمتنبي – تموز- ١٩٣٥.
٤٩- ينظر: الإفصاح:٣٨١-٢٨٢، المفصل : ١٧٣.
٥٠- التبيان: ١/١٠٨
٥١- نفسه: ٤/٧٩.
٥٢- ينظر: معنى اللبيب: ٣/٥٣٧، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ١٠٩
٥٣- التبيان: ١/١٥٨.
٥٤- شرح المشكل: ١٥٥
٥٥- ينظر: الكتاب: ١/٣٥-٣٦.
٥٦- ينظر: المقتضب: ٤/٩٩، والجمل للزجاجي: ٤٩-٥٠، وشرح الكافية الشافية: ١/٢٣٥.
٥٧- ينظر المقتضب : ٤/٩٩ والأصول: ١/٢٣٢، والإيضاح في شرح المفصل: ١/٤٧٢.
٥٨- بنظر: المقتصد: ١/٤٢١، والإيضاح: ١/٤٧٢.
٥٩- الضرائر: ٧٥
٦٠- التبيان: ٢/٣٥١.
٦١- ينظر: مغني اللبيب : ١/٢٩٣، وضع الهواسغ : ٢/٨٠
٦٢- التبيان: ٢/٩٣
٦٣- شرح الو احدي : ٢/٥١٢
٦٤- الفسر: ٤/٣٠
٦٥- التبيان: ٢/١٥٦
٦٦- شرح المشكل: ١٢٧
٦٧- التبيان: ١/٧
٦٨- التبيان : ٢/٣
٦٩- ينظر: همع الهوامع : ٣/١٨٨
٧٠- التبيان: ١/٣١٣
٧١- نفسه: ١/٣٩٦

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي – د. ابتسام أحمد حمدان– منشورات دار القلم العربي – حلب– الطبعة الأولى – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)– الشريف المرتضى أو القاسم علي بن الحسين – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الثانية– دار الكتب العربي– بيروت – لبنان– ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
- البلاغة والأسلوبية – د. محمد عبد المطلب – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب– ١٩٨٤م.
- البنية الموسيقية في شعر المتنبي– د. محمد حسين الطريحي – الطبعة الأولى– ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.– اكاديمية الكوفة.
- خزانة الأدب وغابة الأرب – لأبي بكر بن عبدالله المعروف بأبن حجة الحموي– دراسة وتحقيق –د. كوكب دياب– الطبعة الأولى – دار صادر – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- دلائل الأعجاز –عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود محمد شاكر – الطبعة الخامسة – مكتبة الخانجي– القاهرة– ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
- الرفض ومعانيه في شعر المتنبي– يوسف الحناشي – الدار التونسية للكتابة– ١٩٧٨م.
- شرح ديوان الحماسة– ابو علي أحمد بن محمد المرزوقي– نشره محمد أمين وعبد السلام محمد هارون– الطبعة الثانية– القاهرة – ١٣٨٧هـ– ١٩٦٧م.
- شرح ديوان المتنبي – عبد الرحمن البرقوقي – الطبعة الثانية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري– المسمى (التبيان في شرح الديوان) – ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي– الطبعة الأخيرة – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت – لبنان – ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.
- شرح المشكل في شعر المتنبي، علي بن اسماعيل بن سيدة (ت ٤٥٨هـ)، تح .. الأستاذ مصطفى السقا، و د. حامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والأعلام– دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد/١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.
- الضرائر وما يسوغ للشاعر من دون الناثر– السيد محمود شكري الآلوسي– شرحه محمد بهجة الأثري– المطبعة السلفية بمصر– القاهرة– ١٣٤١هـ.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز (كتاب).. يحيى حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان، الدار الجامعية بالأسكندرية– ١٩٨٢م.
- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني– د. بسيوني عبد الفتاح– الطبعة الثانية– مؤسسة المختار للنشر والتوزيع– ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تح .. د. مهدي المخزومي ود، إبراهيم السامرائي ،الجمهورية العراقية ، ١٩٨١م.
- الغموض في شعر المتنبي _مقالة _مجلة الهلال _عدد خاص في الذكرى الألفية للمتنبي _تموز_١٩٣٥م.
- الفتح على أبي الفتح – محمد بن احمد بن فورجة _تحقيق عبد الكريم الدجيلي _منشورات وزارة الأعلام _الجمهورية العراقية _ دار الحرية للطباعة _ بغداد.
- في جمالية الكلمة _ د. حسين جمعة _منشورات _اتحاد الادباء العرب _دمشق _٢٠٠٢م.